سمات الخطاب القصصي في القرآن الكريم " دراسة أسلوبية لسورة الشمس"

Features of narrative discourse in the Noble Qur'an "A stylistic study of Surah Al-Shams"

1 د. إكني عمر*

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)،o.ikni@univ-chlef.dz

2 أ.د سحواج امحمّد

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (الجزائر)، m.sahouadj@univ-chlef.dz

تاريخ الارسال :2023/10/27.تاريخ القبول 29/03/2024 تاريخ النشر31/03/2024

ملخص:

تسعى هذه الدّراسة إلى البحث في الأسلوب الذي كان ينتهجه الخطاب القرآني، عند محاكاته لمختلف القصص السابقة، الخاصّة بالأمم الغابرة، على غرار قوم نوح، وعاد وثمود، وأصحاب الرسّ، وأصحاب الأيكة وقوم موسى وعيسى، و يوسف، إبراهيم، داوود، سليمان، عليهم الصلاة والسلام، فوجدنا أنّ كلّ كلمة أو حرف إلاّ ولها دلالات معجزة، تصوّر لنا معاني كثيرة بشكل دقيق.وسنحاول في هذا البحث تطبيق الدراسة الأسلوبية على سورة الشمس، التي وردت فيها قصّة سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام، وقومه ثمود الذين عقروا الناقة، فجعلهم الله عبرة لمن حاول اتباع طريقهم.

الكلمات المفتاحية: سورة الشمس، الأسلوب، الخطاب، القصص القرآني، البلاغة.

Abstract:

This study seeks to look for the method that was pursued by the Qur'anic discourse, when simulating the various preceding histories, for the ancient nations, such as the people of Noah, and returned and Thamud, and the companions of the Rass, and the owners of the Aika and the people of Moses and Youcef, and Abraham, David, Solomon, peace and blessings of Allah be upon them, we found that every word or letter has only miraculous connotations, describing many meanings to us accurately. And his people were Thamud who licked the camel, and God made him an example for those who tried to follow their path.

Keywords: Surah Al-Shams; style; speeches; Quranic stories; rhetoric

……

المقال :

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الإنسان من صلصال من طين، وعلّمه الجمال والبيان، والصلاة والسلام على خير البرية، أمّا بعد، فإنّ الدّراسات الأسلوبية، من المناهج التي تحتلّ مكانة مرموقة في علوم اللّغة العربية في الوقت الحالي، وذلك لأنّ أغلب الدّارسين اليوم أصبحوا يعتمدون على المنهج الأسلوبي كثيرا ، خاصّة في مجال تحليل النّصوص، كما أنّ المنهج الأسلوبي يسعى للربط بين المنهج العلمي والجمال الفنّيّ للنّصّ الأدبي، وذلك من خلال السير وفق مستويات متعدّدة ومختلفة لتحقيق التحليل اللغوي للنّصوص الأدبية، ومن أبرز هذه المستويات نذكر: المستوى الصوتي، المستوى الدّلالي، المستوى التّركيبي، المستوى الإيقاعي، المستوى التصويري، غير أنّه لكلّ مستوى من هذه المستويات صفات تميّزه عن غيره، فتعين النّاقد على اكتشاف جماليات النص الأدبي، وتسهل على القارئ عملية استخراج أسرار هاته النصوص.

وسنسعى في هذا البحث تطبيق هذه المستويات على قصة من قصص القرآن الكريم، الذي يعتبر من السحر البياني الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حميد، وسنركّز على دراسة الظواهر اللّغوية والأسلوبية، ونوضّح ما تؤدّيه من معان دلالية، وجماليات أسلوبية في السورة، وذلك على المستويات الدلالية والصوتية والتصويرية والتركيبية، وسنتبع المنهج الوصفي التحليلي لآيات السور، مع إظهار تجليات التكامل الفني الجمالي الموجود في القرآن الكريم، من خلال الكلام السابق نطرح التساؤل التالي: ما معنى الأسلوبية وما دلالاتها؟ ماذا يقصد بالخطاب القرآني؟ ما مدى جمالية هذا المنهج إذا اتّصل بسور القرآن الكريم؟

2. الأسلوبية لغة واصطلاحا:

قال صاحب لسان العرب: الأسلوب يعني: «سطر من النخيل وكل طريق ممتد , والأسلوب هو الطريق والمذهب ، والجمع أساليب»[1].

ورد في كتاب " اللغة والابداع، مبادئ علم الأسلوب" أنّ هذا النوع من الفنّ كان موجودا عند المتقدّمين من العرب «الأسلوب والبلاغة في استعمال الأدباء والمتكلمين في القرنين الثالث والرابع، الجاحظ–ابن قتيبة–الخطابي–الباقلاني، دلالة البلاغة على الاستحسان، ودلالة الأسلوب على اختلاف النوع، والنظم مفهوم أكثر تحديدا، أمّا حازم القرطاجنّي فخصص النظم بالألفاظ والأسلوب بالمعاني، بينما ابن خلدون فعرفه بكونه صورة

ذهنية مجردة، يمتلك الأسلوب علاقة بالفن الأدبي من ناحية وبالتراكيب اللغوية من ناحية أخرى، وبفكرة عمود الشعر من ناحية أخرى أيضا»[2].

ذكرنا هذه التعاريف حتى نؤكّد للقارئ أنّ الأسلوبية فنّ قديم كان موجودا عند الدارسين العرب، الذين ذكروا مسألة النّظم والأسلوب بصفة عامّة والذين كانوا يولونه اعتماما بالغا في الشعر والنثر، وهذا حتى تظهر جمالية النّصّ وفنيته وأسراه ومعانيه.

أمّا علم الأسلوب في المدرسة الغربية فقد عرّف بما يلي: «دراسة قضايا التعبير عن قضايا الإحساس وتبادل التأشير بين هذا الأخير والكلام؛ والأسلوبية كفرع من اللسانيات العامّة تتمثّل في جرد الإمكانات والطاقات التعبيرية للغة بالمفهوم السوسيري»[3].

عموما فإنّ الأسلوبية تهدف لإبراز القيمة الفنية والجمالية والنفسية التي يحدث أثرها النّصّ في نفس المتلقّي، كما تحدث الدراسات المستوياتية للنّصّ وقعا قويا يمكن القارئ من فهم النّصّ واستيعابه من الناحية الجمالية والفنية.

1.2 . مستويات التحليل الأسلوبي:

يعتمد المنهج الأسلوبي على عدّة مستويات وضعها الدّارسين المهتمين بهذا المنهج وهي كما يلي: المستوى الصوتي، المستوى الصرفي المستوى التركيبي، المستوى الدلالي وهناك من يضيف المستوى المعجمي، وسنشرح كل واحدة شرحا موجزا:

أ.المستوى الصوتي: التأمل في البناء الصوتي لكلمات السورة، والموسيقى النابعة من تردد الأصوات والألفاظ وانسجام هذه الموسيقى مع معاني السورة واتصالها بها.

ب. المستوى الدلالي: يركّز على الألفاظ في المقام الأول لما لها من تأثير جوهري على المعنى، وكذا الكلمات والجمل، والبحث عن سمات الألفاظ ومميّزاتها في السورة .

ت.المستوى التركيبي: دراسة الجملة من حيث الطول والقصر، والنظر في الظاهرة الأسلوبية من حيث قوة الدلالة والبلاغة الموجودتان في السورة مثل: التكرار الإفراد والجمع، والتعريف والتنكير...

ث.مستوى الصورة: يدرس الخيال الموجود في السورة مثل: التشبيه، الكناية، الاستعارة، المجاز ،التناسق الفني ...[4]

ح.**المستوى الصرفي**: يهتم بالصيغ الصرفية، والاشتقاقات والمونيمات ، وما ينتج عنها من معاني صرفية أو نحوية.

2.2 أسلوب الخطاب القرآني:

يؤكد محمّد أبو موسى أنّ أسلوب الخطاب القرآني عبارة عن «كلام يقوم بأشياء ثلاثة لفظ حامل ومعنى به قائم وربط لهما ناظم، ثم إن القرآن هو الذي جمع نهايات الفضل في هذه العناصر الثلاثة، فإذا تأملته وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة؛ حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا؛ وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه، وأما المعاني فلا يخفى على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل في نعوتها وصفاتها»[5]

يذهب عودة أبو عودة للقول بأنّ «الخطاب القرآني يكون بطريق التلاوة، والترتيل، ويكون بالكتابة، ويكون بالحوار، ويكون بالسرد في عرض المعاني والأفكار، وخلال السرد تتعدد المعاني والأفكار، والعواطف والانفعالات، والتصوير والتجسيم، كما أن للقصص القرآني أثراً كبيراً في الإبلاغ والتذكير ونشر الدعوة»[6]

يسرد كذلك الباحث أبو عودة جلّ الأساليب التي تصور الآيات القرآنية حين يقول: «وإن أساليب الخطاب تتنوع كثيراً في القرآن الكريم وفق هذه الصورة الكلية التي سبقت الإشارة إليها؛ فأساليب الدعاء والرجاء والأمر والنهي والنداء، كل أولئك من صور الخطاب القرآني، وكذلك أساليب العرض والتفصيل والسرد من أساليب الخطاب القرآني، وأساليب الحوار والقصص والتمثيل والتصوير أيضاً من أساليب العرض المؤثرة في إبلاغ الفكرة المقصودة والمعنى المرجو من النصّ. ولذا، فإن كل ما يرد في القرآن الكريم من أوامر ونواهٍ، وقصص وعبر وتشريع وأحكام، وحديث عن الإيمان والكفر، والطاعة والعصيان، إنما هو تصوير لما يجري في هذه الحياة الدنيا من صوره الحياة المختلفة» [7]

تتحقّق جماليات الخطاب القرآني من خلال «اللغة التي تحمل دلالات خطابه، لأنّ اللغة في النّصّ القرآني تأتي مغايرة عن أيّ نصّ آخر، إذ أنّ الاستخدام الإلهي للمفردة اللغوية في النّصّ القرآني يعطيها الطّابع المرجعي الذي يحكم دلالاتها حيثما وجدت في القرآن، وأنّ هذا لا ينفى عنها أنّها جاءت عبر امتدادات جمالية تبرز قوتها التعبيرية في انتقاء المفردات وتوظيفها في سياقات خاصّة لا يمكن لبدائلها أن تفي بها، وكذلك تنظيم تلك

المفردات في وضعية تركيبية خاصّة تفرض وقعها الدّلالي والتعبيري على السياق، ممّا يجعلها تأخذ بيد المتلقي للانتباه إليها حتّى يستجيب لتأثيراتها العميقة»[8] (الجودي، 2014، ص171).

3.2 . أنواع الخطاب القصصي في القرآن الكريم:

ذكر مناع القطان في كتابه "مباحث في علوم القرآن" ثلاثة أنواع للقصص القرآني نلخّصها فيما يلي:

أ. **قصص الأنبياء:** تتحدث عن دعوة قومهم إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان، مع ذكر المعجزات التي أيدهم الله تعالى بها، والحديث عن مراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المكذبين وفلاح الصالحين، ومن هذه القصص قصة سيدنا: نوح، إبراهيم، موسى، هارون، عيسى، محمد عليهم أطيب الصلاة وأزكى التسليم.

ب. **قصص قرآني يتعلّق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم:** مثل قصة طالوت وجالوت، أهل الكهف، قارون، أصحاب السبت، مريم عليها السلام...

ت. **قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن محمد صلى الله عليه وسلم:** مثل: غزوة بدر وأحد في سروة آل عمران، غزوة الأحزاب في سورة الأحزاب...[9]

أمّا فيما يخصّ المقاصد والأهداف التي وجد من أجلها القصص القرآني فإنّه تحدّد في تبيان الغرض الأسمى الذي «نزلت من أجله القصة القرآنية، و بنيت على صورة خاصة وعرضت بأسلوب خاص، وإلى جانب هذه الأغراض نجد الوظيفة التي تؤديها القصة في المجتمع وتخدم بها الحياة والأحياء، وهي وظيفة تؤديها جميع الفنون من موسيقى ومسرح ونحت وتصوير هذه الوظيفة نستطيع عدها غرضاً عاماً للقصة أدته في المجتمع العربي على اختلاف ألوانه، وعلى ما فيه من مؤيدين ومعارضين»[10] .

إنّ الله تعالى قصّ القصص على نبيّه صلى الله عليه وسلّم ليثبت فؤاده، «ولتكون برهان على نبوته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ القصص القرآني تفرّد بجملة من الخصائص الفنية والأغراض الدينية، جعلت منه قصّا مغايرا عن أيّ قصّ بشري، لأنّ مبدعه هو الخالق، كما أنّ الحوار القصصي شكّل مادّة غنيّة بنوعيه الدّاخلي والخارجي مع شيوع الحوار الخارجي أكثر من الدّاخلي، لأنّ وظيفة الحوار الخارجي تساعد على نمو الأحداث، أمّا الحوار الدّاخلي فتنحصر وظيفته في الكشف عن باطن الشخصية القصصية»[11].

4.2 مقاصد وأهداف القصص القرآني:

ورد في القرآن الكريم الكثير من القصص الغابرة التي حدثت في الماضي، وكذا التي حدثت في زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى القصص التي ستحدث مستقبلا مثل: يأجوج ومأجوج، والنفخ في الصور ومن أحسن القصص التي وردن في كتاب الله قصة نبينا يوسف الصديق عليه السلام، مصداقا لقوله تعالى:﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾[12]

نلخّص أهم هذه الأهداف والمقاصد فيما يلي:

- ✓ تخفيف الضغط على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهذا الضغط كان قوياً وعنيفاً،وكانت أسبابه واضحة جلية؛ من كيدٍ للنبي والقرآن والدعوة للإسلام، لقوله تعالى: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣ ﴾[13]
- ✓ التوجيه نحو القيم الجديدة والإيمان بها ، و الدفاع عنها ، والعمل على حثّ الناس على ضرورة الارتباط بها ارتباطا لا تزعزعه الحوادث ، وأيضاً تكوين عواطف قوية وصادقة ضد ما هو قبيح وذميم من الأشياء والعادات والأعمال.
- ✓ الإيحاء أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول حقاً ، وتأييده بما اصطفاه الله من الرسالة ، من التحدي بالغيب ، والإعجاز بمعرفة تفاصيلٍ لا يطلع عليها أحدٌ إلا علام الغيوب .
- ✓ بيان قدرة الله على الخوارق ، وبيان عاقبة الاستقامة والصلاح ، وعاقبة الانحراف والإفساد ، وبيان الحكمة الإنسانية العاجلة ، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة كقصة موسى عليه السلام[14]

3. تطبيق المستويات الأسلوبية على سورة الشّمس (عقوبة قوم صالح عليه السلام):

سنقوم بدراسة السورة القرآنية دراسة أسلوبية وفق المستويات التالية: المستوى الصوتي، فالتركيبي، ثمّ الإيقاعي وأخيرا الصورة.

1.3 المستوى الصوتي (جماليات الإيقاع الصوتي في سورة الشمس):

يعتبر المستوى الصوتي الخطوة الأولى التي يهتم بها دارس النصوص الأدبية، ويعود الفضل لنشأة هذا الفنّ إلى «الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي رتّب الحروف وبيّن مواطن إخراجها، ووضّح صفاتها ومميزاتها، وطريقة النّطق بها»[15] .

بيد أنّ النّصّ القرآني نص متناسق ومنسجم ومتكامل، ومنظّم من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، كما أنّ النّصّ القرآني «يستخدم بعض الأصوات ويكرّرها، بغرض تصوير بعض المواقف الإنسانية وتشخيصها تشخيصا يشعرنا بما تحمله هذه الأصوات من طاقات نغمية وشحنات إيقاعية بمقدورها إضفاء بعض الأجواء النّفسية المؤثرة والظلال الموحية على المعنى»[16] .

الجدول (1): أفرز إحصاء الأصوات في سورة الشمس مايلي:

الأصوات المجهورة	الأصوات المهموسة
م- و- ن- ر- ذ - ج - ل -ي-غ- ب - ض- د- ز	ش- س- ق-ء-هـ- ط — ف -ح-خ- ك — ث - ط

الجدول(2): عدد الأصوات المحصاة تتوزع كالآتي:

الأصوات المجهورة:

م	و	ن	ر	ذ	ج	ل	ي	غ	ب	ض	د	ز
15	20	7	7	3	2	8	2	2	5	2	4	1

الأصوات المهموسة:

ش	س	ق	ء	هـ	ط	ف	ح	خ	ك	ث	ط
3	7	10	8	25	2	9	2	2	3	2	2

عدد الأصوات المجهورة هو:78صوتا، أمّا عدد الأصوات المهموسة هو:75صوتا، وهذا ما يؤكّد وجود تقارب كبير بين الأصوات المجهورة والمهموسة، ولو بفارق قليل ، فقد اجتمع المهجور والمهموس في السورة كي يبقى النّفس جاريا عند النّطق بالكلمات دون وجود معيقات، لأنّه إذا «فإذا اجتمع صوت مجهور ، و آخر

مهموس ، فقد اجتمع صوتان مختلفان لكل منهما طبيعة خاصة ، و الجمع بين هذين الصوتين يقتضي عضو النطق أن يعطي كل صوت منهما حقه ، و في ذلك عسر لا يخفى ، فإذا تألفت كلمة و قد تجاور فيها صوتان ، أحدهما مجهور ، و الآخر مهموس ، فما يزال أحدهما يؤثر في الآخر حتى يصيرا مجهورين معاً ، أو مهموسين معاً »[17].

أمّا الأصوات الشديدة الواردة في السورة هي: ء/د/ط/ك/ب/ق/ت/ض، في حين ما ورد من أصوات رخوية في السورة نذكر: س/ش/ز/ذ/ث/ف/ه/ح/خ/ غ، وهذا ما أشار إليه محمد حسين علي الصغير بقوله: «ففي الصوائت نلحظ قوله تعالى :﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ٨ ﴾[18]، في اقتران الواو و الألف في موضع واحد من سوى و تقوى ، كما نلحظ اقتران الياء و الألف في سقيا من قوله تعالى:﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ١٣ ﴾[19]؛ فتجد استطالة هذين الحرفين في كلا الموضعين ، لا يصدهما شيء صوتياً ، و هما يتراوحان دلالياً في ألفاظ تحتكم الشدة و اللين ، فالتذكير بخلق النفس الإنسانية قسماً إلى جنب عملها بين الفجور و التقوى ، و التحذير من الناقة إلى جنب التحذير من منع السقي[20]».

2.3المستوى الصرفي:

من المعلوم عند العرب أنّ علم الصرف ينظر في كلمات النصوص وطريقة بناء أسمائها، وتصريف أفعالها، واستخراج المصادر والمشتقات، وعليه فإنّ أفعال الماضي والحاضر والمستقبل ، وكذا الأزمنة، وأسماء الآلة، بالإضافة إلى وجود اللواصق، والسوابق واللواحق والدواخل، وعليه سنعمل في هذه السورة الكريمة تبيان الأوزان الصرفية المتكررة كثيرا في السورة ،والتي تمثّلت في الفعل الماضي الموافق للحدث الذي جرى في الماضي وهو نزول العقاب على ثمود قوم صالح الذين عصوا أمر النبي صالح عليه السلام الذي أكّد لهم على نزول عقوبة ربانية عليهم في حالة مخالفة أمر الله عز وجل وهو عقر الناقة ومن الأفعال الماضية التي وردت في السورة: ضحاها،تلاها،جلاها،يغشاها،بناها،طحاها،سواها،ألهمها،زكاها،خاب،دسى،كذبت،انبعث،قال،كذب،عقر، دمدم، سواها، إلاّ أنّ هناك الزمن المضارع في: **يغشى، ألهم، أفلح، يخاف**، وهذا ما يدرج ضمن السوابق التي تتمثل في حروف المضارعة(أنيت) التي تدل على الزمن المضارع، بالإضافة إلى كثرة حرف الواو الذي ذكر كثيرا في السورة، التي تدل على عظمة الأمر الذي أقدم عليه قوم صالح عليه الصلاة والسلام، فأصابهم عذاب الله العزيز الحكيم.

3. 3 المستوى الدّلالي:

ما ورد في سورة الشمس عبارة عن خطاب وجيز كامل المعنى، ملئ بالبراهين والحجج الدامغة القويّة، يمتاز بالتشويق والنظم الجيّد، وكذا شدّة التّأثير لما له من وقع قوي في النفس البشرية، إذ تعتبر الوحدات الصغرى التي تشكل منها النّصّ بمثابة دراسة دلالية تقودنا إلى الخروج بتصور واضح عن الوحدة الكبرى للنص القرآني، حيث أنّ الألفاظ الواردة في السورة، تتميّز بالانسجام والاتّساق، لأننا لو حاولنا استبدال كلمة مكان أخرى لاختلّ المعنى، فمثلا قوله تعالى:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾(سورة الشمس:الآية:14).

النّاظر في كلمة(دمدم)يدرك أنّ هذه الكلمة لو غيرت بكلمة أخرى غيرت المعنى، وأخلّت بسياق النّصّ، وهذا ما يبين عظمة النص القرآني، وعجيب دقّة نظمه المختار ،كما أنّ استعمال الآيات الكونية في السورة والقسم بها من الأساليب الدلالية التي تثمن النعم الكثيرة والعظيمة التي منحها الله تعالى للخلق، حيث لولاها لمات الخلق وهلك، فالحقل الدلالي الأول ينتمي للنور الذي بفضله يستنير البشر ويعيشون وهي كالآتي: الشمس تدل على نور النهار، وضحى الشمس الذي يدلّ على انبساط نور الشمس، و القمر الذي به يهتدي الإنسان في الليل، النهار الذي بفضل تتجلى الأظهر وتظهر للإنسان، ثم الليل الذي يغطي الأرض ويسترها، فقد أقسم الله جل وعلا بهذه الآيات الكونية لأنّه خلقها وأعجز بخلقها الجميع، والتي تعتبر محور نظامنا ومصدر حياتنا، الذي لا نستطيع الاستغناء عنه، وهذه في حدّ ذاتها معجزة ربانية.

يوجد التضاد والذي يفيد العموم في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾(سورة الشمس:الآيات:3،4،5،6).

التضاد الموجود في الآيات المذكورة يتمثل في الكلمات التالية: (النهار، الليل)،(السماء، الأرض)،وهذا ما يؤكّد أنّ الله عز وجلّ خلق من كل زوجين اثنين في كلّ مخلوقات الله تعالى، وكذا الدوام والاستمرارية في العيش وفق نظام متين،يعجز السان التعبير عن وصفه ،وهذه من الدلالات القوية على عظمة الخالق عز وجل.

وفي السورة أسلوب السهل الممتنع، حيث ذكر الله عز وجل قصّة النبي صالح عليه السلام، بطريقة روعة في البلاغة، وذلك حين ذكر عاقبة ثمود قوم صالح عليه السلام، حين كذّبوا نبيّهم وعقروا الناقّة، فعاقبهم الله عز وجلّ، نتيجة ذنبهم والمتمثّل في عقر الناقة، فدمدم عليهم الله عز وجل بذنبهم، فسواها فلا يخاف عقباها، وفي

الآية يقول تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾،فذكر كلمة (الرب) لما لها من وقع قوي في نفس الإنسان على انّ الله غفور رحيم، والربّ شديد العقاب.

وفي السورة أيضا يوجد التناسق والانسجام من ذلك ما ورد في بديع كتابه عز وجل بصورة رائعة متناهية في الفن والجمال، ومن أمثلة ذلك ما ورد في هذه السورة الكريمة، حيث تناسق بداية السورة مع مضمونها، حيث جاءت البداية متناسقة ومتوافة مع مفهوم السورة ومعناها، إذ بدأت السورة بقوله تعالى:﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾(سورة الشمس:الآيات:8.7.6.5.4.3.2.1).

فهذه صور متعاكسة، يمكن أن نصفها كما يلي:

- صورة الشمس وضحاها الذي ينير الكون، وصورة القمر الذي يخرج في الليل يهتدي به السائر في الطريق ليلا.
- وصورة النهار عند ما يتجلى بعد شروق الشمس، حيث خلقه الله لكي يعمل فيه الإنسان ويجتهد ويثابر... وصورة الليل عند ما يستر بظلامه البشرية وفيه يرتاح الناس وينامون...
- صورة السماء الموجودة في الأعلى، ينزل منها الغيث والسحاب ليسقي الأرض الموجودة في الأسفل، فتنبت نباتا حسنا...
- صورة النفس البشرية التي خلقها الله على الفطرة النقية الصالحة، تعاكسها النفس الفاجرة الشريرة التي قد يكتسبها الانسان من بيئة فاسدة تقضي على فطرته النقية التقية...

3.4. المستوى التّركيبي(النحوي) :

في هذا المستوى نهتم بأهمّ الظواهر الأسلوبية في سورة الشمس ومنها:

أ. القسم:

أقسم الله عز وجل في سورة الشمس إحدى عشر مرّة بتسعة أشياء وهي: الشمس، الضحى، القمر، النهار، الليل، السماء، وما بناها، الأرض، وما طحاها، النفس، وما سواها، كما تكرّر حرف (الواو)

إحدى عشر مرّة وهو عدد القسمات، أما المقسم عليه فهو قوله تعالى:﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾[21]

فسّر ابن كثير هذه الآية بقوله: «يحتمل أن يكون المعنى، قد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله تعالى، وطهّرها من الأخلاق الدّنيئة والرّذائل، وقد خاب من دسّاها، أي: دسّسها، أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى، حتّى ركب المعاصي وترك طاعة الله عزّ وجلّ، وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكّى الله نفسه، وقد خاب من دسّى الله نفسه [22].

يقول فاضل السامرائي أنّ «هذه السورة تتحدث عن ربط ظواهر كونية ببعضها من الشمس والقمر إلى الليل والنهار والسماء والأرض وتمر الآيات سريعة في وصف هذه الظواهر الكونية ثم تأتي الآيات تتحدث عن الإنسان (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها) وكأنها تريد أن تعلمنا أن الإنسان هو أهم شيء في الكون كله وأن كل المخلوقات في الكون الفسيح إنما سخّرت لأجل الإنسان فكأنما الإنسان هو المميز بين مخلوقات الله تعالى كله»[23]

ب. كثرة الأسماء المؤنثة في السورة، أكثر من الأفعال:

من الأسماء المؤنثة الواردة في السورة (الشمس، الضحى، السماء، الأرض، النفس، التقوى، ثمود، ناقة، الطغوى، العقبى)،ومن الأسماء المذكرة الواردة في السورة(القمر، الليل، النهار، فجور، رسول، ذنب)،ومن الأفعال الواردة في السورة(تلاها، جلاها، يغشاها، بناها، طحاها، سواها، فألهما، زكاها، دساها، كذبت، انبعث، قال، كذبوه، عقروها، دمدم، سواها، يخاف)،وكأن السورة ورد فيها المؤنث أكثر من المذكر لأنّ القصّة تتحدّث عن مؤنث حقيقي وهي ناقة سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام.

ت. كثرة الطباقات والمقابلات في السورة:

من الطباقات الواردة في السورة ما يلي:

(الشمس، القمر)،(النهار،الليل)،(السماء،الأرض)،(الفجور،التقوى)،(أفلح،خاب)،أمّا المقابلات الواردة في السورة(النهار إذا جلاها، الليل إذا يغشاها)،(السماء وما بناها، الأرض وما طحاها)،(قد أفلح من زكاها، قد

خاب من دساها)،وهما من المحسنات البديعية التي تحسنان معنى النص، وتطري عليه الجمال الذي ينقصه، وتوضح المقصود بصورة أبلغ، وتساعد على حسن ربط الأشياء ببعضها البعض.

يقول جمال عبد العزيز أحمد: «السورة كلها ابتُنِيَتْ على الترابط الوظيفي، والتكامل الكوني بينهما، فالشمس والقمر لا غناءَ عنهما، فكلٌّ يؤدي رسالته، والنهار والليل يتعاقبان لصالح الخلق، ومنفعتهم، فلا حياة بلا ليل يستراح فيه، ولا حياة بلا نهار مبصر، يمشي الناس فيه لمعاشهم. والسماء مع الأرض تشكِّل حياةَ البشر، حيث تمدهم بالمطر والدفء، وكل ما ينفعهم، والأرض يمشون عليها، ويأكلون منها، ويزرعون، ويتنقلون عليها شرقا وغربا، وشمالا، وجنوبا؛ لإنهاء أعمالهم، وتحصيل مصالحهم.والنفس التي سوَّاها الله، ووضع فيها التقوى والفجور، والظلمة والنور، والهدى والغرور، ثم دلَّها بوساطة أنبيائه وكتبه على سبيل التقوى وطريق النور، والهدى والسرور»[24]

ث. التكرار:

أكثّر ما ورد في السورة من تكرار حرف (واو القسم)خمسة عشر مرة في السورة، فقد جرى تكرار الواو كثيرا للإشارة إلى أنّ جميع المخلوقات الكونية التي أوجدها الله عز وجل سخرها للنفس البشرية، ولذلك وضعها في كفة ونفس الإنسان في كفة ثانية، لكنه أكّد أنّ النفس الزكية هي التي تفوز في الدار الآخرة، وضرب عبرة بقصة قوم صالح الذين عقروا الناقة التي خلقها الله من صخرة، وأمرهم أن يحترموا موعد سقايتها لكنهم عقروها، فعذّبهم الله تعالى عذابا أليما، وهذه إشارة أخرى من الله تعالى يؤكّد فيها على أنّه رغم ما رزقهم من نعم عظيمة وفضلهم على سائر المخلوقات بما في ذلك الناقة ،إلاّ أنّه إن عصوه يعاقبهم ولا يبالي والله تعالى أجل وأعلم .

4. خاتمة:

أسفر البحث عن مجموعة من النتائج نلخصها كما يلي:

1. أسهم البحث في التعريف بالمستويات الأسلوبية التي يعتمد عليها الدارسون في هذا النوع من العلم.

2. لاحظنا كثرة الأصوات المجهورة في سورة الشمس، لما فيها من تكرار كثير للقسم المتعدد بالأكوان التي خلقها الله عز وجل، حيث جعلها سبحانه وتعالى في كفة مع النفس البشرية لما لها من تكريم من البارئ عز وجل للنفس الإنسانية.
3. الدّراسة الدلالية للسورة بيّنت دور التضاد الوارد في السورة في إنشار مفارقة بين نقيضين في إعجاز الجاحدين بنعم الله تعالى، وكذا تعداد نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى.
4. في المستوى التركيبي للسورة نجد القسم الذي تكرر كثيرا في السورة، وكذا مجموعة كبيرة من الطباقات والمقابلات التي أثرت في نفس المتلقي وجعلتها أكثر وقعا على قلبه وبصيرته.
5. نقلت لنا السورة الأفكار ومعانيها بصورة حسية تجمع بين الواقع والتصوير البلاغي القوي،والذي بدوره شكل صورة فنية وجمالية للسورة.
6. أسلوب الخطاب القرآني يجمع بين العموم والخصوص، بين العقل والعاطفة، بين الإقناع والإمتاع، وهذا سماه علماء البلاغة بالنّظم، غير أني أقول أنّ هذا الشئ يعجز الكلام عن إعطاء كلمة تناسبه لأنّه كلام خاص بالله تعالى، أعجز به الفصحاء والبلغاء...

5- الهوامش:

- إكنني عمر
- [1] جمال الدين بن منظور :لسان العرب، دار صادر، بيروت،(د ط)،(د ت)،ص225
- [2] شكري محمد عياد، اللغة والإبداع؛مبادئ علم الأسلوب العربي،انترناشيونال بيرس،مصر،(د ط).1988،ص13
- [3] نورالدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب؛تحليل الخطاب الشعري والسردي،، دار هومة الجزائر،ط1؛1998،ص16
- [4] شاملي نصر الله ، و حسنعليان سمية ، دراسة أسلوبية في سورة ص، مجلة أهل البيت عليهم السلام،العراق،المجلد14، ع1؛2022،ص164
- [5] أبو موسى محمد محمد،الإعجاز البلاغي؛ دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، مكتبة وهبة، .القاهرة ، ط1.1997،ص53
- [6] أبو عودةعودة،(2013)، محاضرات في الخطاب القرآني مبادئ وأساليب وشواهد، جامعة العلوم الإسلامية العالمية،الأردن،(د ط). 2013،ص42
- المرجع نفسه: ص43 [7]
- [8] الجودي لطفي فكري محمد ،جمالية الخطاب في النّصّ القرآني؛قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1؛2014،ص171
- [9] مناع القطان ،مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة بالقاهرة،المجلد1،ط7؛1995،ص301
- [10] عبد المنعم الجداوي، وآخرون، القرآن:نظرة عصرية جديدة المؤسسة العربية للدراسات والنشر،لبنان،ط1؛1988،ص60
- [11] رنا أحمد عبد الحليم ، جمالية المفارقة في القصص القرآني، وزارة الثقافة،الأردن،ط1؛ 2015،ص225.
- سورة يوسف:الآيات:1،2،3. [12]

- سورة الأنعام:الآية:33 [13]
- [14]علي الطاهر السلام،(د س)،القصص القرآني،دراسة لأسلوب القصص القرآني،قصة يوسف عليه السلام نموذجا،(د ط)،(د ت)،ص7،8،9.
- [15]اخلف عودة القيسي ،الوجيز في مستويات اللغةدار يافا العلمية،عمان،د ط،2010،ص15
- [16].المير بومدين(2014)، جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم ،مجلة فصل الخطاب،المجلد3،العدد3،السنة2014،ص152
- [17] مهدي المخزومي ، في النحو العربي،قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث،مكتبة لسان العرب ،المنصورة(د ط)،1985،ص8.
- سورة الشمس:الآيتان:7،8 [18]
- سورة الشمس:الآية:13 [19]
- [20]الصغيرمحمد حسين علي.(2009)، الدلالة الصوتية في القرآن الكريم،تاريخ النشر:2009/1/2،تاريخ الاطلاع:2022/12/22،رابط الموقع:*https://www.islam4u.com/ar/maghalat/*
- سورة الشمس:الآية:9،10 [21]
- [22]ابن كثير اسماعيل،تفسير القرآن العظيم دار طيبة للنشر والتوزيع .المملكة العربية السعودية، ،ط1؛1999،ص412.
- [23]فاضل السامرائي: روائع البيان القرآني .تاريخ النشر:2000/1/1،تاريخ الاطلاع:2022/12/28،رابط الموقع : *http://albayanalqurany.com*
- [24]أحمد جمال عبد العزيز، وقفات بلاغيَّة وقراءات بيانيَّة تربوية مع آيات قرآنية (سورةُ الشمسِ نموذجًا)،تاريخ النشر:2020/5/2،تاريخ الاطلاع:2022/12/24،رابط الموقع :*https://alwatan.com/details/382294*

6. قائمة المراجع:

- ابن كثير اسماعيل،تفسير القرآن العظيم دار طيبة للنشر والتوزيع .المملكة العربية السعودية، ،ط1؛1999.
- أبو عودةعودة، محاضرات في الخطاب القرآني مبادئ وأساليب وشواهد، جامعة العلوم الإسلامية العالمية،الأردن،(د ط). 2013.
- أبو موسى محمد محمد،الإعجاز البلاغي؛ دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، مكتبة وهبة، .القاهرة ، ط1.1997.
- جمال الدين بن منظور :لسان العرب، دار صادر، بيروت،(د ط)،(د ت).
- خلف عودة القيسي ،الوجيز في مستويات اللغةدار يافا العلمية،عمان،د ط،2010.
- رنا أحمد عبد الحليم ، جمالية المفارقة في القصص القرآني، وزارة الثقافة،الأردن،ط1؛ 2015.
- شكري محمد عياد، اللغة والإبداع؛مبادئ علم الأسلوب العربي،انترناشيونال بيرس،مصر،(د ط).1988.
- عبد المنعم الجداوي، وآخرون، القرآن:نظرة عصرية جديدة المؤسسة العربية للدراسات والنشر،لبنان،ط1؛1988.
- علي الطاهر السلام،(د س)،القصص القرآني،دراسة لأسلوب القصص القرآني،قصة يوسف عليه السلام نموذجا،(د ط)،(د ت).
- لجودي لطفي فكري محمد ،جمالية الخطاب في النّصّ القرآني؛قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1؛2014.
- مناع القطان ،مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة بالقاهرة،المجلد1،ط7؛1995.
- مهدي المخزومي ، في النحو العربي،قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث،مكتبة لسان العرب ،المنصورة(د ط)،1985.
- نورالدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب؛تحليل الخطاب الشعري والسردي،، دار هومة الجزائر،ط1؛1998.

- شاملي نصر الله ، و حسنعليان سمية ، دراسة أسلوبية في سورة ص، مجلة أهل البيت عليهم السلام،العراق،المجلد14، ع1؛2022.
- المير بومدين(2014)، جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم ،مجلة فصل الخطاب،المجلد3،العدد3،السنة2014.
- أحمد جمال عبد العزيز، وقفات بلاغيَّة وقراءات بيانيَّة تربوية مع آيات قرآنية) سورةُ الشمسِ نموذجًا،تاريخ النشر:2020/5/2،تاريخ الاطلاع:2022/12/24،رابط الموقع: *https://alwatan.com/details/382294*.
- الصغيرمحمد حسين علي.(2009)، الدلالة الصوتية في القرآن الكريم،تاريخ النشر:2009/1/2،تاريخ الاطلاع:2022/12/22،رابط الموقع: *https://www.islam4u.com/ar/maghalat/* .
- فاضل السامرائي: روائع البيان القرآني .تاريخ النشر:2000/1/1،تاريخ الاطلاع:2022/12/28،رابط الموقع : *http://albayanalqurany.com*.

)